دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التنمية السياسية الأصول وبدايات الاهتمام
المصدر:	مجلة كلية التربية
الناشر:	جامعة الإسكندرية - كلية التربية
المؤلف الرئيسي:	الزيات، السيد عبدالحليم
المجلد/العدد:	ع 3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1990
الشهر:	اكتوبر
الصفحات:	355 - 376
رقم MD:	11205
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	العلاقات الدولية، السياسة، التنمية السياسية، الدول النامية، النظم الساسية، المشكلات السياسية، السياسة المقارنة، البحث العلمي، الاحزاب السياسية، علم الاجتماع السياسي، التغير الاجتماعي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/11205

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التنميـــــة السياسية

الأصول وبدايات الاهتمام

★
د. السيد عبد الحليم الزيات

تمهيـــد :

شغلت قضية التنمية جمهور الباحثين وصانعى السياسة غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية وماتزال . كما اتسعت دوائر البحث فى هذا المجال ، وامتدت حلقاتها إلى دروب وآفاق كثيرة ومتنوعة . ولم تقتصر جهود المهتمين بهذه القضية على دراسة وتحليل جوانبها النظرية ـــ المعرفية والمنهجية ـــ وحدها ، بل ان التركيز على تتبع ظواهرها ومظاهرها العيانية ، واجراء التجارب العملية ، والبحوث الميدانية ، والدراسات المقارنة ، كان له أولوية خاصة لديهم ، ويحتل موقعا متقدما فى معظم الأحوال . وكانت محصلة الاهتمام المكثف بهذه القضية ـــ من الوجهة الاكاديمية ـــ هى تلك الوفرة الزاخرة من المؤلفات والكتابات ـــ الأجنبية والعربية ـــ التى أثرت تراث البحث التنموى ، وجعلت الباحثين فى بعض مجالاته لايواجهون نقصا فى المصادر أو ضآلة فى مجموعة المعارف المتعلقة بهذه المجالات ، وفى غير حاجة أيضا إلى تتبع أصولها التاريخية ، وبداياتها الأولى ، بل فى مواجهة مشكلة المفاضلة والاختيار بين ماهو متاح لهم من تراث ، ومحاولة الافادة من هذا التراث نفسه فى ميادين التطبيق العملى والعمل الميدانى .

ويختلف الأمر بالنسبة لقضية التنمية السياسية عما هو عليه فى غيرها من القضايا التنموية الأخرى . ومرجع ذلك ـــ فى واقع الأمر ـــ أن التنمية

★ مدرس علم الاجتماع ـــ كلية التربية ـــ جامعة الاسكندرية .

السياسية لم تزل بعد مفهوما جديدا ، ورافدا مستحدثا فى تيار علوم السياسة والاجتماع . ومن ثم فان ماتوافر لها من تراث حتى الآن لايزال ضئيلا ومحدودا نسبيا فى المصادر الأجنبية ، ويكاد يكون نادرا للغاية فى الأدبيات العربية . إذ كل ما هنالك من اجتهادات ـــ عربية ـــ فى هذا المجال لايتجاوز بعض المذكرات الجامعية ، والأطروحات العلمية ، والمقالات المنشورة فى بعض الدوريات المتخصصة ، والاشارات الطفيفة المتناثرة فى صفحات بعض المجلات والصحف السيارة ... إلى غير ذلك من محاولات مبتسرة ، تكاد تخلو تماما من أية معالجات نظرية متعمقة ، تلم بأطراف هذه القضية ، وتقدم عرضا وافيا يستوعب أبعادها ومحاورها الأساسية . مما دفع البعض إلى القول ـــ وبحق ـــ أن التنمية السياسية فى التراث العربى لاتزال تمثل الجانب المهمل فى دراسات التنمية ، وما يعنيه هذا الاهمال من أزمة خطيرة فى الفكر التنموى العربى [1] .

---

(١) انظر : حسنين توفيق ابراهيم ، **أزمة الفكر التنموى العربى** ، مجلة الاهرام الاقتصادى ، العدد ٧٥٧، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، ١٨ يوليو ١٩٨٣ ، ص ٢٠ .

وقد حصرنا ماتيسر لنا الوقوف عليه من كتابات ودراسات عربية فى مجال التنمية السياسية ، حتى عام ١٩٨٣ ، فاتضح لنا أن التراث العربى لهذه القضية يكاد يقتصر على مجموعة الأعمال التالية حسب الترتيب الزمنى لصدروها :

ـــ على الدين هلال ، **محاضرات فى التنمية السياسية** ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ ـــ ١٩٧٦ . وهذه المحاضرات ـــ فيما نعلم ـــ هى أول ما كتب بالعربية فى هذا الموضوع .

ـــ نبيل السمالوطى ، **التنمية والتحديث الحضارى** ، مطبعة الجيلاوى ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، صفحات ١٨ ـــ ١٩ .

ـــ حسن صعب ، **علم السياسة** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٦ ، صفحات ٣٠٧ ـــ ٣٧٨ .

ـــ محمد محمود عرفة ، **الصحافة والتنمية السياسية** ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ .

ـــ مجدى عبده حماد ، **المؤسسة العسكرية ونماذج بناء التنمية السياسية فى أفريقيا مع دراسة للدور السياسى للعسكريين فى غانا (١٩٦٦ ـــ ١٩٦٩)** ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ .

من هنا .. كانت البداية الطبيعية ، والمقدمة المنطقية للخوض فى هذا المجال ، هى التعرف أولا على مصادر وبدايات هذا المبحث العلمى الجديد ، والدوافع

ـــ عليه حسن حسين ، **التنمية نظريا وتطبيقيا** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٧٧ ، صفحات ٧٨ ـــ ٨٤ .

ـــ نبيل السمالوطى ، **بناء القوة والتنمية السياسية : دراسة فى علم الاجتماع السياسى** ، الهيئة العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٨ ، صفحات ١٤٣ ـــ ١٨٧ .

ـــ محمد على العوينى ، **دور الاعلام فى التنمية السياسية الريفية** ، مجلة الموقف العربى ، العدد ٢٣ ، القاهرة ، مارس ١٩٧٩ ، صفحات ٩٨ ـــ ١١٠ .

ـــ حسين عبد الحميد أحمد ، **التغير الاجتماعى والتنمية السياسية فى المجتمعات النامية : دراسة فى علم الاجتماع السياسى** ، رسالة ماجستير (غير منشوره) ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٩ .

ـــ أمانى محمد على قنديل ، **نظام الاتصال وعملية التنمية السياسية فى الدول النامية** ، رسالة ماجستير (غير منشوره) ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠ .

ـــ عبد الخبير محمود عطا ، **وسائل الاعلام والتنمية السياسية فى الدول النامية : البرامج السياسية فى اذاعة القاهرة كحالة للدراسة** ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨١ .

ـــ محمد على العوينى ، **الراديو والتنمية السياسية** ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨١ .

ـــ عبد الفتاح أحمد حجاج ، **التربية والتنمية السياسية** ، مركز البحوث التربوية ، قطر ، ١٩٨١ .

ـــ السيد عبد المطلب غانم ، **دراسة فى التنمية السياسية** ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨١ .

ـــ أحمد عباس عبد البديع ، **أصول علم السياسة** ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، صفحات ٢٣٩ ـــ ٢٤٢ .

ـــ عمر ابراهيم الفتحلى ، **اتجاهات التنمية السياسية فى ليبيا** ، المؤسسة الدولية للنشر والمعلومات قطر ، ١٩٨٢ .

ـــ سعد الدين ابراهيم **الديمقراطية هل يمكن تخطيطها ؟** ، مجلة الاهرام الاقتصادى ، العدد ٧٣٨، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، ٧ مارس ١٩٨٣ ، صفحات ٤٠ ـــ ٤١ .

ـــ عبد الهادى محمد والى ، **التنمية الاجتماعية : مدخل لدراسة المفهومات الأساسية** ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ ، صفحات ٧٧ ـــ ٨٩ .

الكامنة وراء تطور الاهتمام به ، لما فى ذلك من تأصيل تاريخى وعلمى لكثير من موضوعاته ، وكمحاولة لاستكمال بعض جوانب النقص والقصور التى لا تزال تعترى تراث التنمية السياسية فى مصادره العربية .

وقد تبين لنا من مراجعة ، ما هو متاح من كتابات وبحوث فى هذا المجال أن بدايات الاهتمام بقضية التنمية السياسية كانت ــ كما هى الحال تماما بالنسبة للبدايات الأولى لقضية التنمية بوجه عام ــ ثمرة التقاء وتضافر جهود كل من الباحثين وصانعى السياسة فى معالجة مشكلات التخلف ، والتخلف السياسى على وجه التحديد ، سواء على المستوى النظرى أم العملى ، إذ لم يعد من المقبول قط أن يتخلف العلم انتظارا لنتائج تجارب السياسة . ولم يعد من المحمود كذلك أن تجرب السياسة أو تخطط فى غيبة العلم [٢] . ولم يعد من الجائز ــ لهذا وذاك ــ أن تمضى جهود الباحثين وصانعى السياسة فى خطين متوازيين ، أو فى اتجاهين متباعدين ، خاصة فى تلك الدول التى ماتزال تعانى آثار التخلف السياسى ، وتحاول فى الوقت نفسه تحقيق مستويات عالية من التطور الاقتصادى والاجتماعى .

لذلك ، ومن هذه الزاوية على وجه التحديد ، وجدنا من المفيد ومن الملائم كذلك أن نتتبع بشىء من التفصيل مصادر وعوامل تطور اهتمام الجماعة الأكاديمية بقضية التنمية السياسية باعتبارها قضية علمية . وذلك فى محاولة لاستجلاء أبعادها ومحاورها الأساسية وآفاق دراستها ، بما يخدم فى النهاية أغراض البحث العلمى والتطبيق العملى فى هذا المجال التنموى المميز .

التنمية السياسية قضية علمية :

تمتد جذور علم السياسة فى أعماق الفكر الانسانى إلى ماقبل الميلاد بقرون . كما ترجع أصول علم الاجتماع السياسى إلى منتصف القرن التاسع عشر . أما التنمية السياسية Political Development كمفهوم علمى ومبحث دراسى فى علوم السياسة والاجتماع ــ فلم تظهر إلى حيز الوجود ، ولم تحظ

(٢) محمد عاطف غيث (تقديم) ، **علم اجتماع التنمية : دراسة فى اجتماعيات العالم الثالث** ، تأليف : نبيل السمالوطى ، الهيئة العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٧٤ ص II .

باهتمام الباحثين الا فى ستينيات القرن الحالى ، وإن بدأت ارهاصاتها الأولى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وأوائل الخمسينيات [٣] .

وتؤكد معظم الدراسات التى تتبعت نشأة هذا المبحث الجديد أن اهتمام العلماء والباحثين بهذه القضية قد صدر ــ أول ماصدر ــ نتيجة التقاء عاملين أساسيين ، الأول : هو اتساع دوائر البحث العلمى ، وامتداد نشاط الدارسين ــ غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية ــ إلى دول العالم غير الغربى ، والعالم الثالث على وجه التحديد . أما الثانى فهو تغير نظرة الباحثين إلى ظواهر ومعطيات الحياة السياسية ، وتطور منهجيات البحث والدراسة فى علوم السياسة والاجتماع ، بفضل الثورة السلوكية التى اجتاحت مجال العلوم الاجتماعية بعامة ، وعلوم السياسة والاجتماع بوجه خاص [٤] .

ولم يكن الاتساع فى دوائر البحث العلمى ، وامتداد نشاط الباحثين إلى دول العالم الثالث ، صادرا عن فراغ ، أو نتيجة للمبادرات الذاتية للعلماء والباحثين فقط . ولكن دفعت اليه ، وشجعت عليه أيضا ، كثير من المتغيرات والاعتبارات السياسية ، التى أسفرت عنها الحرب العالمية الثانية ، وشكلت فى مجملها المناخ والسياق العام لأوضاع وعلاقات السياسة الدولية فيما بعد سنوات هذه الحرب . فلقد عايشت هذه الفترة ظروف تداعى وانهيار النظم الفاشية والنازية فى أوروبا ، وبداية ظهور الوجود الأمريكى على مسرح السياسة الدولية وتعاظم نفوذه وامتداده إلى كثير من بلدان العالم . كما شهدت فى الوقت نفسه عوامل ومراحل تدهور العلاقات الأمريكية ــ السوفيتية ، واندلاع وتصاعد الحرب الباردة بينهما . إلى جانب نشوء وتطور كثير من النظم الماركسية فى بلدان أوربا الشرقية ، فضلا عن انتصار حركات التحرر الوطنى فى معظم بلدان العالم الثالث ، وظهور عديد من الدول حديثة الاستقلال فى آسيا وأفريقيا ، وتزايد أهمية وفعالية دور هذه الدول الناشئة فى

---

(3) S.P. Huntington & J.I. Dominguez., **Political Development**, in : F.I. Greenstein & N. W. Polsby, (eds.), **Handbook of Political Science**, Vol. 3, Addison - Wesley Publishing Company, U.S.A., 1975, p. 1.

(4) Ibid, pp. 1 - 3.

مجال السياسة الدولية . ولم يكن من الممكن ازاء هذه المتغيرات والاعتبارات السياسية الجديدة أن تستبعد دول العالم الثالث من دائرة اهتمام الدول الكبرى عند رسم استراتيجياتها السياسية . ولم يكن من الجائز كذلك أن تنصرف الجماعة الأكاديمية عن دراسة الأوضاع والمشكلات الاجتماعية والسياسية الخاصة بهذه الدول ، ومواصلة هذه الدراسة دون انقطاع .

وقد عزز هذا الاتجاه ، وزاد من سرعة **الاندفاع** فى طريقه أن هذه الدول الناشئة قد شهدت ــ وماتزال تعايش ــ كثيرا من التحولات الاجتماعية والسياسية الهامة . وتجابه فى الوقت ذاته عديدا من الأزمات الداخلية والتحديات الخارجية المرهقة . كما أنها تعد بالنسبة للقوتين العظميين مسرحا رحبا للحرب الباردة الدائرة بينهما . وتتعرض من جراء ذلك لعمليات استقطاب جسيمة ، تهدد استقلالها الوليد وتكاد تعصف به . فضلا عن أن هذه الدول ــ بوجه عام ــ ذات خصائص وسمات متشابهة . كما أن جوهر المشكلات والصعوبات التى تواجهها وتعــانى ويلاتها يكاد يكون واحدا أو متماثلا ، على الرغم من تباين تجاربها التاريخية ، وتفاوت مستويات تطورها الاقتصادى والاجتماعى ، واختلاف بيئاتها الجغرافية والاجتماعية والثقافية . يقول بوتومور : « إذا نحينا جانبا عوامل الحجم والموارد الطبيعية ، فقد يكون فى وسعنا أن نميز بين أربع فئات من المجتمعات النامية ــ يوجد بينها أوجه شبه هامة فى البناء الاجتماعى والثقافة ــ هى : دول أفريقيا . والدول العربية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . والدول الاسيوية . ودول أمريكا اللاتينية . ولقد استطاعت الدول التى تنتمى إلى المجموعة الأولى أن تحقق وجودها من خلال الصراع ضد الاستعمار ، الذى أثر تأثيرا بالغا فى نظمها السياسية ، وان كان عليها أن تواجه ــ بالاضافة إلى مشكلات النمو الاقتصادى ــ تلك المشكلات الخاصة باقامة الوحدة الوطنية لمجتمع يتألف من جماعات قبلية يرجع وجودها داخل حدودها ــ إلى حد ما ــ إلى التفرقة التعسفية التى أقامتها القوى الاستعمارية . ومن بين بلدان المجموعة الثانية ، توجد فئة تكونت من خلال صراعات مستقلة ضد الحكم الاستعمارى المباشر ، وان كانت هناك دول كثيرة حظيت بالاستقلال السياسى لفترة من الزمن ، وكان عليها أساسا أن تقاوم الرقابة المباشرة التى فرضت على مواردها الاقتصادية من جانب القوى

الأجنبية . أما مشكلاتها السياسية فتتمثل فى تغير الأنظمة الاقطاعية والاوتوقراطية للحكومات التى تقوم على نسق طبقى جامد بعيد عن المساواة . أما المجموعة الثالثة الخاصة بدول آسيا فتتميز على وجه الخصوص بأنها مجتمعات ذات حضارات قديمة ، تأسست فيها أنظمة اجتماعية تقليدية إلى حد كبير . وهى أيضا بلاد حققت مؤخرا التحرر من الحكم الاستعمارى . وعلى الرغم من أنها لم تواجه مشكلات رئيسية تتصل بتكامل المجموعات القبلية فى مجتمع قومى ، كما هو الأمر بالنسبة لدول أفريقيا ، فإنها واجهت مشكلات قريبة الشبه من الوحدة الوطنية ، بقدر ماتنقسم إلى طوائف أو أقاليم تسود فيها لغات معينة (كما هو الحال فى الهند) ، أو جماعات عنصرية ولغوية منفصلة (مثال ذلك : التاميليون والسينهاليون فى سيلان ، والماليزيون والصينيون فى الملايو). أما المجموعة الرابعة والخاصة بدول أمريكا اللاتينية فتختلف من وجوه عديدة عن البلاد الأخرى . إذ أن هذه المجتمعات ـــ إلى حد كبير ـــ تعتبر أكثر تقدما اقتصاديا . كما أنها متحضرة بالفعل على نحو يفوق كثيرا من البلاد الزراعية ، وذلك على الرغم من أنها أخذت حديثا بالتصنيع واسع النطاق : هذا فضلا عن أنها مستقلة سياسيا منذ فترة طويلة نسبيا . وهكذا لم تصبح مشكلاتها السياسية هى مشكلات الوحدة الوطنية ، مع أن بعض الدول ـــ مثل بيرو ـــ لم يكتسب فيها بعد عدد كبير من السكان الهنود حقوق المواطنة الكاملة . كما أن النشاط السياسى الحديث لم يتأثر بفكرة القومية ، بالرغم من أنه يقاوم بصورة واضحة النفوذ الاقتصادى لأمريكا الشمالية فى المنطقة . أما المشكلات الرئيسية فهى تلك التى صاحبت التصنيع والزيادة السريعة فى معدلات السكان ، وظهور حركة العمل داخل النظام السياسى ، الذى سيطر عليه لفترة طويلة كبار ملاك الأرض ، وكان غالبا مايحكم بواسطة دكتاتورية عسكرية » (٥) .

---

(٥) بوتومور ، **الصفوة والمجتمع : دراسة فى علم الاجتماع السياسى** ، ترجمة : محمد الجوهرى وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، صفحات ١٠٧ ـــ ١٠٨ .

ولمزيد من المعلومات حول أوضاع التخلف فى دول العالم الثالث انظر على سبيل المثال الكتابات التالية :

ولم يكن لهذه الخبرة المستفادة من دول العالم الثالث أن تمضى دون أن تترك بصماتها على النشاط العلمى ومجالاته ، ومنهجيات وتقنيات البحث فى العلوم الاجتماعية بوجه عام . بل أثار الاهتمام بهذه الدول ، كما أبرزت جهود الباحثين الذين اضطلعوا بدراسة أوضاعها الاجتماعية والسياسية ، كثيرا من التساؤلات ، وعديدا من الخبرات والمشكلات . مما حدا بالكثيرين منهم إلى تركيز دراساتهم على موضوعات وقضايا بعينها ، انصرفت فى معظمها إلى محاولة استقصاء وتحديد السمات والخصائص العامة ـــ أو المشتركة ـــ لمعطيات الحياة السياسية لهذه الدول ، والتى تشكل وتجسد ـــ أو تعكس ـــ وضعية وأبعاد وظواهر التخلف السياسى التى تغشى مجتمعاتها .

من هنا ، ونتيجة للجهود المكثفة التى بذلت فى هذا المجال ، وبفضل معونة وتشجيع المؤسسات والهيئات الحكومية وغير الحكومية ـــ الأمريكية أساسا ـــ لم يمض كثير من الوقت حتى أصبحت ثمة وفرة من البيانات والمعلومات ، والبحوث والدراسات ، المتعلقة بالأوضاع السياسية ، ونظم الحكم والادارة ، فى عديد من أقاليم العالم غير الغربى ، وبخاصة بلدان العالم الثالث ، التى اصطلح على وصفها :

البلدان المتخلفة Underdeveloped countries
أو البلدان الأقل تطورا Less - developed countries
أو البلدان النامية (أى الآخذة فى النمو) Developing countries .

= H.G. Kebschull, (ed)., **Politics in Transitional Societies : The Challenge of Change in Asia, Africa and Latin America**, Appleton - Century - Crofts, New York, 1968.

ك. م. بانيكار ، **مشكلات الدول الاسيوية الأفريقية** ، ترجمة : نجدة هاجر ، سعيد الغز ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ب. ت.

ـــ جوكوف وآخرون ، **العالم الثالث : قضايا وآفاق** ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١ .

ـــ عمار بوحوش ، **عوامل التخلف السياسى والاقتصادى فى دول العالم الثالث** ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد الثانى ، السنة الثانية ، كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة الكويت ، اكتوبر ١٩٧٤ ، صفحات ٥٠ ـــ ٦٠ .

وقد لعبت (لجنة السياسة المقارنة بمجلس بحوث العلوم الاجتماعية) بالولايات المتحدة الأمريكية Committee on Comparative Politics of The Social Research Council دورا بارزا وملموسا فى هذا المجال . إذ اضطلعت باجراء العديد من البحوث والدراسات ــ النظرية والامبيريقية ــ المتعلقة بقضايا ومشكلات الحياة السياسية فى كثير من هذه الدول . وقدمت فى هذا الصدد سلسلة متتابعة من المؤلفات والكتابات العلمية الرائدة ، فى مقدمتها : كتاب (جبرييل الموند G. A. Almond) و (جيمس كولمان J. S. Coleman) عن (السياسة فى المناطق النامية) الذى صدر فى عام ١٩٦٠ ، ويعد من أوائل الكتب التى تطرقت لدراسة وتشخيص أوضاع التخلف والتطور السياسى فى دول العالم الثالث [٦] . ثم كتاب (ليونارد بيندر L. Binder) عن (ايران : التنمية السياسية فى مجتمع متغير) [٧] وكتاب (لوسيان باى L. W. pye) عن بورما (السياسة والشخصية وبناء الأمة)[٨] اللذين صدرا فى عام ١٩٦٢ ، إلى غير ذلك من مؤلفات ودراسات أخذت تتوالى تباعا وشكلت فيما بعد الجانب الأكبر من تراث البحث فى قضية التنمية السياسية لدى روادها الأوائل .

وهكذا ، ونتيجة لهذه الجهود مجتمعة وترتيبا عليها ، أصبح المجال الأكاديمى ــ بعدما كان محصورا فى اطار العالم الغربى ، ويولى اهتمامه بقضايا ومشكلات هذا العالم وحده ــ فى مواجهة نماذج وأنماط جديدة من الظواهر ، والبناءات ، والعلاقات ، والتفاعلات السياسية التى لم يعهدها من قبل ، ويتعين عليه فهمها وتحليلها وتفسيرها ، بل ادماجها أيضا فى الاطار العام لدراسات علوم السياسة والاجتماع . وبذلك وفرت بلدان العالم الثالث ــ كما يقول أحد الباحثين العرب ــ مجالا رحبا فسيحا للدراسة والبحث لا مثيل له فيما سبق من تاريخ

(6) G.A. Almond & J.S. Coleman, (eds.), **The Politics of The Developing Areas**, Princeton University Press, Princeton, 1960.

(7) L. Binder, **Iran : Political Development in a changing Society**, Princeton University Press, Berkeley, 1962.

(8) L.W. Pye, **Politics, Personality and Nation Building : Burma's Search for Identity.** Yale University Press New York, 1962.

الانسانية . وخلقت فى الوقت ذاته مجالا خصبا رائعا لفهم عديد من التجارب والخبرات السياسية التى كانت سببا فى اثراء وتطوير الفكر السياسى الذى أبدعه أفلاطون وأرسطو . وبالتالى أصبح المجال السياسى لدول العالم الثالث يشكل تحديا خطيرا للباحثين فى علوم السياسة والاجتماع ، مثلما كان المجال السياسى للمجتمع اليونانى يمثل تحديا لأفلاطون وأرسطو ، وإن كان ثمة فارق جوهرى فى هذا الصدد ، وهو أن أفلاطون وأرسطو أشرفا على نهاية تجربة دولة المدينة City - State ، بينما تجربة الدول القومية النامية لاتزال بكرا وفى مقتبل نشأتها (٩) .

ومما ساعد على مواجهة هذا التحدى ، ومواصلة ونجاح الجهود التى بذلت فى هذا المجال ، أن البحث فى قضايا ومشكلات الحياة السياسية لدول العالم الثالث قد اقترن منذ البداية بظهور الثورة السلوكية فى علوم السياسة Behavioral revolution in political sciences ولم يكن بمنأى عن التأثر بما ترتب على هذه الثورة من صدمة منهجية Methodological Shock استدعت تغيير النظرة إلى ظواهر الحياة السياسية ، وتطوير منهجيات وأساليب البحث فى علوم السياسة بوجه عام (١٠) . وهذا ما تطلب من الباحثين أن يراجعوا — بل يهدروا

---

(٩) حسن صعب ، **الانسان العربى وتحدى الثورة العلمية التكنولوجية** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٦٦ .

(١٠) حول مزيد من المعلومات فيما يختص بالثورة السلوكية فى علوم السياسة انظر على سبيل المثال :

— E. Heinz, (ed)., **Behavioralism in Political Science,** A therton Press, New York, 1963.

The Behavioral Persuasion in Politics, Random House, New York, 1963.

— A. Ranney. (ed)., **Essays on the Behavioral Study of Politics,** University of Illinois Press, Urbana, 1962.

— D. Waldo, **Political Science : Tradition, Discipline, Profession, Science, Enterprise,** in : F.I. Greenstein & N.W. Polsby, (eds.), Op. Cit, Vol. 1, pp. 58 - 62.

وأيضا : أحمد بدر ، **الثورة السلوكية فى العلوم السياسية** ، مجلة العلوم الاجتماعية العدد الثانى ، السنة الثالثة ، كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة الكويت ، ديسمبر ١٩٧٥ ، صفحات ٣٥ — ٤٧ .

ـــ كثيرا من التصورات والمسلمات الفكرية والمنهجية التى كانت محل اتفاق بينهم من قبل . وأن يركزوا دراساتهم على الجوانب الدينامية ـــ أى الحركية ـــ للظواهر السياسية وأن يحددوا بشكل دقيق المتغيرات المؤثرة فى هذه الظواهر وأولويات دراستها[١١] . وأن يبذلوا قصارى جهدهم أيضا من أجل مزج البحوث النظرية بالدراسات الامبيريقية ، وتحقيق نوع من المزاوجه المنهجية بين الالتزام النظرى والبحث الميدانى [١٢] . مستفيدين فى كل ذلك من نتائج بحوث العلوم الاجتماعية الأخرى ، ومستخدمين فى الوقت نفسه كثيرا من مقولات ومفهومات هذه العلوم فى بحوثهم وتحليلاتهم [١٣] . فضلا عن استخدام الأساليب الكمية فى تحليل ظواهر الحياة السياسية ، وقياس العلاقات بين عديد من المتغيرات التى كان يتعذر قياس علاقات بعضها ببعض من قبل . إلى جانب اختبار نتائج دراساتهم والتحقق من صحة ما انتهت إليه من تعميمات عن طريق المقارنات المنظمة بين عديد من التجارب السياسية المتنوعة . معتمدين فى هذا كله على الخدمات الاحصائية التى وفرتها الأجهزة الحكومية والهيئات الدولية ، وماتجمع لديها من بيانات ومعلومات تتعلق بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والديموجرافية والسياسية ... إلى غير ذلك من معطيات أمكن استخلاصها والحصول عليها من خلال الدراسات المسحية التى أجريت فى عديد من دول العالم الثالث . مما ساعد فى النهاية على استحداث وتطوير

---

(١١) انظر بعض هذه المراجعات والانتقادات فى الكتابات التالية على سبيل المثال :

__ G.A. Almond & G.B. Powell. Jr., **Comparative Politics : A Developmental Approach,** Little, Brown and Company, Boston, 1966, pp. 1 - 3.

__ R.C. Macridis, **The Study of Comparative Goverment,** Doubleday & Company Inc., Garden City, New York, 1955.

ـــ على الدين هلال المرجع السابق صفحات ٤٠ ـــ ٤١ .

(12) S.P. Huntington & J. I. Dominguez, Op. Cit, p. 2.

(13) G.A. Almond, **A Functional Approach To Comparative Politics,** in : G.A. Almond & J.S. Coleman. (eds.). Op. Cit, pp. 3 - 4.

عدد غير قليل من مداخل البحث فى علوم السياسة ، فى مقدمتها : المدخل البنائى الوظيفى structural Functional approach (١٤) . ومدخل العملية الاجتماعية Social - Process approach (١٥) ومدخل التاريخ المقارن (١٦) . Comparative history Approach وما إلى ذلك من مداخل عديدة ، ساعدت بشكل ملحوظ فى القاء مزيد من الأضواء على كثير من جوانب ومظاهر وأبعاد الحياة السياسية لدول العالم الثالث ، ودفعت جهود الباحثين فى هذا المجال خطوات إلى الأمام . الأمر الذى كان له أبلغ الأثر فى تطوير كثير من مجالات البحث فى علوم السياسة ، وبخاصة دراسات علم السياسة المقارن Comparative Politics الذى انبثقت بحوث التنمية السياسية من خلاله . إذ انشعبت دراسات السياسة المقارنة ـــ بفضل هذه التطورات المعرفية والمنهجيـــة الجديـــدة ، وعلى عكس ما كانت عليـــه هذه الـــدراسات من

---

(١٤) من أهم الدراسات التى استخدمت هذا المدخل :

__ G.A. Almond & J.S. Coleman, (eds.), Op. Cit. & G.B. Powell, Jr., Op. Cit.

__ L. Binder, Op. Cit.

__ D. Apter, **The Politics of Modernization**, University of Chicago Press, Chicago, 1965.

__ D. Easton, **A Framework for Political Analysis**, Englewood cliffs, Printice - Hall, N. J., 1965.

(١٥) من أهم الدراسات التى اعتمدت على هذا المدخل :

__ D. Lerner, **The Passing of Trditional Society**, Free Press, New York, 1958.

__ K.W. Deutsch, **Social Mobilization and Political Development**, in : R.C. Macridis and B.E. Brown, (eds.), **Comparative Politics ; Notes and Readings**, The Dorsey Press, Homewood, Illinois, 1977.

__ M.C. Hudson, **The Precarious Repubic ; Political Modernization in Lebanon**, Random House, New York, 1968.

(١٦) من أهم الدراسات التى أقيمت على هذا المدخل :

__ C.E. Black, **The Dynamics of Modernization**, Harper & Row, N.Y., cliffs 1966.

__ S.N. Eisenstadt, **Modernization : Protest and change**, Englewood Cliffs Printice - Hall, N.J. 1966.

__ S.P. Huntington, **Political Order in Changing Societies**, Yale University Press, New York, 1968.

قبل[١٧] ــ إلى اتجاهين رئيسيين : أحدهما : يركز على دراسة السلوك السياسى للأفراد والجماعات الصغيرة ، بهدف الكشف عن الأدوار التى تلعبها فى الحياة السياسية ، ومدى تكرار أو تواتر هذه الادوار ، ومبلغ تأثيرها فى مجريات السياسة العامة (كالبحث فى دور الاسرة فى عملية التنشئة السياسية . أو دور الآباء ــ والأسرة ككل ــ فى بناء الوعى السياسى للفرد وتوجيه سلوكه السياسى . أو البحث فى دور الاحزاب فى بلورة المواقف السياسية ، والتأثير فى الرأى العام ... وهكذا) . والآخر : يصب اهتمامه على دراسة العلاقات المتبادلة والمتداخلة بين مختلف بناءات وميكانيزمات العملية السياسية داخل النظام السياسى ككل (كالبحث عن تأثير بناء وأنماط الاتصال فى عملية التعبئة الاجتماعية بين الجماعات التى تعيش على هامش النظام السياسى . وما هى أنماط التجديد ، والوظائف الملائمة لتحقيق عمليات التنمية القومية الشاملة فى البلدان المتخلفة ... وهكذا) [١٨] .

وكانت نتيجة هذا التطور الجديد فى دراسات السياسة المقارنة أن أصبحت القضايا والمشكلات والمفهومات التى أثارت اهتمام الباحثين ــ خلال المراحل المبكرة للبحث فى هذا المجال ــ أكثر تحديدا وتفصيلا عن ذى قبل . وبالتالى أصبح المجال مهيأ لبلورة مفهوم التنمية السياسية ، وظهور هذا المبحث الجديد

---

(١٧) يقول روى مكريدس : أن الدراسات التقليدية للسياسة المقارنة لم تكن دراسات مقارنة بالفعل فهى لاتزيد عن أن تكون مجرد وصف للمؤسسات الحكومية فى عدة دول ، أو تسجيل لكيفية عمل مؤسسة معينة ــ كالبرلمان مثلا ــ فى أكثر من بلد ، دون أية محاولة لاستخلاص عناصر الشبه أو الاختلاف هنا أو هناك ، أو القوانين العامة التى تحكم حركة هذه المؤسسة فى أكثر من اطار . انظر فى ذلك : R.C. Macridis, op. cit.

(١٨) لمزيد من التفاصيل حول التطورات التى لحقت دراسات علم السياسة المقارن انظر على سبيل المثال :

ــ G.A. Almond, **Comparative Politics**, in : D.L. Sills, (ed.), **International Eneyclopedia of The Social Sciences**, Vol. 12, The Macmillan Company, New York, 1972, pp. 331 - 334.

ــ كال المنوفى ، **السياسة المقارنة : مناقشة لبعض القضايا النظرية والمنهجية** ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد الرابع ، السنة السابعة ، جامعة الكويت ، يناير ١٩٨٠ ، صفحات ٧ ــ ٢٣

فى اطار الدراسات السوسيوسياسية . ومن ثم اتجهت كثير من البحوث إلى دراسة قضايا بذاتها ، سواء فى بلدان معينة أم بالمقارنة بين عدة بلدان . كما اضطر كثير من الباحثين ـــ الغربيين ـــ إلى العودة مرة أخرى إلى دراسة مراحل التطور السياسى لبلدان أوربا وأمريكا ، بعدما كان اهتمامهم موجها ـــ بالدرجة الأولى ـــ إلى بلدان العالم الثالث . وقد تجلى هذا بشكل واضح وملموس فى مجموعة المجلدات التى أصدرتها (لجنة السياسة المقارنة بمجلس بحوث العلوم الاجتماعية) فى الولايات المتحدة تحت عنوان (دراسات فى التنمية السياسية Studies in political development)[١٩] حيث تضمنت هذه المجلدات كثيرا من الدراسات ـــ النظرية والامبيريقية ـــ التى يدور البحث فيها حول العلاقة بين التنمية السياسية وبين غيرها من المتغيرات الاجتماعية والسياسية ، فى عديد دول العالم الثالث وكثير من المجتمعات الأوربية والأمريكية . فضلا عن تلك المحاولات الفردية ، التى سعت إلى الاستفادة من نتائج دراسات العالم الثالث ، وجهدت فى تطبيق هذه النتائج على التجربة التاريخية للمجتمعات الأوربية والأمريكية [٢٠] .

---

(١٩) تتألف هذه المجموعة من سبع مجلدات ، هى المراجع الأساسية لدراسة التنمية السياسية ، وبيان هذه المجلدات كالتالى حسب الترتيب الزمنى لصدورها :

ـــ L.W. Pye, (ed.), **Communications & Political Development**, Princeton University Press, Princeton, 1963.

ـــ J. Lapalombara, (ed.), **Bureaucracy & Political Development**, Princeton University Press, Princeton, 1963.

ـــ R.E. Ward & D.A. Rustow, (eds.), **Political Modernization in Japan and Turkey**, Princeton University Press, Princeton, 1964.

ـــ J.S. Coleman, (ed.), **Education & Political Development**, Princeton University Press, 1965.

ـــ L.W. Pye & S. Verba, (eds.), **Political Culture & political Development**, Princeton University Press, Princeton, 1965.

ـــ J. La Palombara & M. Weiner, (eds.), **Political Parties & Political Development.**, Princeton University Press, Princeton, 1966.

ـــ L. Binder & Others, (eds.), **Crises & Sequences in Political Development**, Princeton University Press, Princeton, 1971.

(٢٠) من أهم الكتابات التى صدرت فى هذا الاتجاه المؤلفات التالية على سبيل المثال :

ـــ S.M. Lipset, **The First New Nation**, Basic Books, New York, 1963. ==

بيد أن هذه الجهود جميعا ــ برغم ما ترتب عليها من نتائج وما أسفرت عنه من اضافات ــ شابتها منذ البداية نقيصة أساسية ، تمثلت بشكل واضح فى انصراف معظم الباحثين عن تقديم أية محاولة منهجية تتوخى الربط بين مشكلات التخلف السياسى لدول العالم الثالث وعوامل التقدم السياسى للدول الغربية ، بالاضافة إلى عدم اهتمامهم ببيان تأثير العوامل الخارجية ــ باستثناء تجربة الاستعمار الأوربى ــ فى عمليات التنمية القومية الشاملة فى بلدان العالم الثالث ، وارجاع كل ضعف أو قصور يعتور هذه العمليات إلى عوامل وأسباب داخلية تخص هذه البلدان وحدها . فضلا عن فشلهم فى تطوير أو ابتكار اطار نظرى عام يربط بين عملية التنمية فى بلدان العالم الثالث والتجارب التاريخية لهذه العملية فى بلدان أوربا والعالم الجديد [٢١] .

وقد يرجع السبب فى ذلك إلى ظروف وملابسات عملية البحث العلمى فى دول العالم الثالث ، وما واجه الباحثين من صعوبات خلال مباشرتهم جهودهم البحثية فى هذه الدول . وقد يرجع أيضا إلى قصور القدرات الذاتيه للباحثين أنفسهم ، وانعكاس هذا القصور على بحوثهم العلمية ونتائجها . وربما كان هذا كله صادرا أيضا عن مواقف ارادية متعمدة من جانب الباحثين أنفسهم . ومع

= ويدور موضوع هذا الكتاب حول الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها (أول أمة جديدة). وقد تعرض ليبست فى هذا الكتاب لمشكلتى التكامل السياسى Political Integration والشرعية السياسية Political Legitimacy اللتين واجهتا الولايات المتحدة فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، ومدى ما أسهم به (جورج واشنطن) ــ كقائد كاريزمى ــ فى حل حاتين المشكلتين .

— Ch. Tilly, (ed.), **The Formation of National States in Western Europe**, Princeton University Press, Princeton, 1975.

— S.P. Huntington, **Political Order in Changing Societies**, Op. Cit.

وقد ذهب هنتنجتون فى هذا الكتاب إلى القول بأن الدول النامية فى القرن العشرين ماهى الا (مجتمعات قديمة ذات دول جديدة Old Societies & New States) أما الولايات المتحدة فهى منذ القرن الثامن عشر عبارة عن مجتمع جديد ذى دولة قديمة Anew Society & Old State تقوم على مؤسسات سياسية متوارثة عن (تيودور انجلند Tudor England) ، إلى جانب بعض المشكلات الناجمة عن التغيرات التى لحقت البناء الاجتماعى التقليدى للمجتمع الأمريكى ، مثلما هى الحال تماما بالنسبة للبلدان الأقل تطورا .

(21) S.P. Huntington & J.I. Dominguez, Op. Cit, p. 93.

ذلك ، وبالرغم من كل هذه الاعتبارات والاحتمالات ، فإن المتفق عليه بين جمهور الباحثين ـــ وأكدته التجارب العملية فى معظم الأحوال ـــ أن ثمة صعوبات جد كبيرة واجهت الباحثين فى دول العالم الثالث ، ولم يكن بمقدورهم تجنبها أو التغلب عليها بسهولة . وترجع هذه الصعوبات فى المقام الأول إلى تعدد اللغات واللهجات التى كان يتعين على الباحثين اتقانها ـــ أو الالمام بها على الأقل ـــ لكى يمكنهم استخلاص المعلومات والبيانات التى يسعون إلى الحصول عليها . إلى جانب تعدد وتعقد التجارب الأوربية وتنوعها ، وانتفاء ـــ أو تعذر ـــ التعاون بين الباحثين فى مجال السياسة المقارنة وبين المؤرخين وغيرهم من المشتغلين والمهتمين بقضايا المجتمع ومشكلاته . فضلا عن اعتماد معظم الباحثين الغربيين ـــ والأمريكيين منهم بالذات ـــ على تجربة العالم الغربى ، واعتقادهم أن هذه التجربة هى النموذج المثالى الملائم لمقارنة وتحليل وتفسير عمليات التغيير السياسى فى دول العالم الثالث (٢٢) .

ولقد تدارك هذه الأمور جميعا ـــ فيما بعد ـــ جيل آخر من الباحثين المعاصرين ـــ الماركسيين وغير الماركسيين ـــ الذين واصلوا البحث فى هذا المجال ـــ وكان معظمهم من دول العالم الثالث ، وبخاصة دول أمريكا اللاتينية ـــ إذ قدموا فى هذا الصدد اسهامات كبيرة وجليلة فى اطار البحث فى قضايا التخلف والتنمية فى دول العالم الثالث (٢٣) . وقد تمثلت جهود هؤلاء العلماء

---

(22) Ibid, p. 90.

(٢٣) من أبرز هؤلاء العلماء :
راؤول بريبيتش Raul Prebisch ، ثيوتونيودوس سانتوس Theotonio Dos Santons كانديدومندس Candido Mendes ، أوزفالدوسنكل Osvaldo Sunkel ، اندريه جندر فرانك André Gunder Frank هنريك كاردوزو Henrique Cardoso ، هليو جاجاريب Helio Jaguaribe والباحث المصرى سمير أمين .

وتعتبر مؤلفات (دوس سانتوس) و (جندر فرانك) من أهم الكتابات التى تعرضت لمشكلات التخلف والتنمية فى دول العالم الثالث من وجهة نظر مغايرة لما هو مألوف فى دراسات الباحثين الأمريكيين . وأخص بالذكر هنا الكتابات التالية على سبيل المثال :

— Th. D. Santos, **The Crisis of Development Theory & The Problems of Dependence in Latin America**, in : H. Bernstein, (ed,), **Underdevelopment & Development : The Third World Today**, Penguin Books, London, 1973. =

بشكل أساسى فى تأكيدهم الملح على تأثير العوامل الخارجية فى جهود وعمليات التنمية القومية الشاملة فى هذه الدول . واثباتهم أن مايكتنف هذه العمليات من ضعف أو قصور ، وما يواجهها من معوقات عملية لايرجع ـــ فى معظم الأحوال ـــ إلى عوامل وأسباب داخلية بحت ، بقدر مايصدر عن أسباب وعوامل خارجية تتمثل بشكل أساسى فى تلك الضغوط العنيفة والمتواصلة التى تتعرض لها ـــ دول العالم الثالث ـــ من جانب الدول المتقدمة . ومن ثم انصب جهدهم العلمى ـــ فى الجانب الأكبر منه ـــ على دراسة علاقة المركز أو مايسمونه المتروبول Metropole بالمحيط الخارجى Periphery ومبلغ تأثير الأول على الثانى ، مؤكدين بذلك أن هذه العلاقة ما هى الا نموذج صارخ للعلاقات الدولية غير المتكافئة ، وتمثل فى حد ذاتها شكلا واضحا من أشكال التبعية Dependence أو الامبريالية الجديدة Neoimperialism ، أو الاستعمار الجديد Neocolonialism[٢٤] . مما أدى فى النهاية إلى احداث طفرة كبيرة فى دراسات التنمية وساعد فى الوقت ذاته على تطوير مفهوم التنمية السياسية ، وتحديد معالم وموقع هذا المبحث الجديد فى اطار هذه الدراسات . فضلا عن شيوع وانتشار نتائج بحوث هؤلاء العلماء داخل دوائر اليسار الجديد فى الولايات المتحدة ، واحتدام الجدل والنقاش ـــ من جراء ذلك ـــ حول الدور الملائم للولايات المتحدة فى المحيط الدولى . الأمر الذى جعل كثيرا من الباحثين الأمريكيين يتجنبون الاشارة إلى تأثير العوامل الخارجية على عمليات التنمية ـــ أو على الأقل يتحرون الحيطة والحذر عند الاشارة إلى هذه العوامل ـــ باعتبار أنهم يمثلون فى حد ذاتهم جانبا من هذه العوامل وبالتالى فإن الاشارة إلى هذا

The Structure of Dependence, in : K.T. Fann & D. Hedges, (eds.), **Reading in U.S. Imperialism**, Porter Sargent, Boston, 1971.

__ A.G. Frank, **Capitalism & Underdevelopment in Latin America : Historical Studies of Chile & Brazil**, Monthly Review Press, 1969.

Latin America : Underdevelopment or Revolution, Monthly Review Press, 1970.

٢٤) انظر فى هذا الصدد : السيد الحسينى ، **التنمية والتخلف: دراسة تاريخية بنائية** ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، صفحات ١٧٩ ـــ ٢١٨ ، ٢٦١ ـــ ٢٨٣ .

البعد يشكل ادانة لهم ، وهم فى غير حاجة إلى التعرض لمثل هذا الموقف . كما ذهب فريق آخر منهم إلى رفض ماتوصل اليه علماء العالم الثالث من نتائج ، باعتبار أن هذه النتائج لاتعدو أن تكون تعبيرا عن مواقف عقدية وأيديولوجية أكثر منها نتائج مستخلصة من تحليل علمى موضوعى ، أو مجرد محاولة لتبرير فشل علماء العالم الثالث فى تطوير وتحديث وتنمية مجتمعاتهم لا أكثر أو أقل[٢٥] .

ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام أن الجهود المبكرة للبحث فى قضية التنمية السياسية ـــ والتى بدأت منذ أواخر الاربعينيات وأوائل الخمسينيات ـــ لم تكن فى بداية الأمر واضحة الاتجاه أو محددة المعالم والابعاد . ولكنها كانت تعكس فقط نوعا من الاهتمام الواضح بعمليات التغيير الاجتماعى الواسع ، والتى تندرج أساسا تحت عنوان التحديث Modernization[٢٦] . ومن ثم كانت الاجتهادات الأولى فى هذا المجال لاترى بأسا فى التوحيد بين مفهومى التنمية السياسية والتحديث السياسى ، وإن كانت معظم هذه الجهود قد ركزت اهتمامها على دراسة عملية التنمية السياسية ضمن السياق العام لعمليات التحول ـــ أو التغيير ـــ الشامل من المجتمع الريفى الزراعى التقليدى إلى المجتمع الصناعى الحضرى الحديث .

ومع حلول أواسط وأواخر الستينيات بات من الواضح تماما أن مشكلات التنمية السياسية ـــ والتى تتعلق بقضايا : المشاركة السياسية ، والتكامل والاستقرار السياسى ، وبناء المؤسسات ... ـــ لايمكن بحال من الأحوال أن تنحصر فى اطار هذا السياق فقط ، ولايصح أن تعالج من خلاله وحده . والسبب فى ذلك ـــ كما يقول (صمويل هنتجتون) و (جورج دومينجيه) ـــ أن المشكلات التى يتم التركيز عليها داخل هذا السياق من المحتمل جدا أن تظهر فى ـــ وتميز أى ـــ مجتمع من المجتمعات حالما يتعرض بناؤه لأية تغييرات سوسيواقتصادية أساسية . وبالتالى فان ظهورها لايقتصر ـــ ولايتوقف كذلك ـــ على تحول أو انتقال هذا المجتمع أو ذاك من مجتمع ريفى تقليدى إلى مجتمع

(25) S.P Huntington & J.I. Dominguez, Op. cit., pp. 93 - 94.

(٢٦) انظر دراسة وافية حول مفهوم (التحديث Modernization) فى كتابنا : التنمية السياسية دراسة فى الاجتماع السياسى ، ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ ، صفحات ٩٤ ـــ ١٢٢

حضرى حديث [٢٧] . ومن هنا ، ومن هذا المنطلق بالذات ، عكف الباحثون خلال الستينيات ـــ وفى مقدمتهم دانيل بل Daniel Bell ـــ على تطوير وصياغة مفهوم سوسيولوجى جديد هو مفهوم (مجتمع مابعد الصناعة - Post Industrial Society) ليدلّوا بذلك على نموذج مميز من المجتمعات ، يختلف عن المجتمع الصناعى ، مثلما يختلف المجتمع الصناعى عن المجتمع الزراعى [٢٨] . وانتهوا من هذا كله إلى القول بأنه إذا كان الانتقال من المجتمع الصناعى إلى مجتمع مابعد الصناعة على غرار الانتقال من المجتمع الزراعى إلى المجتمع الصناعى، فليس ثمة خلاف كبير اذن بين المشكلات السياسية المصاحبة لعملية التحول من المجتمع الصناعى إلى مجتمع مابعد الصناعة وبين تلك المشكلات التى تترتب على انتقال المجتمع الزراعى إلى مجتمع صناعى . ومن ثم فمن المحتمل جدا أن تكون هذه المشكلات متماثلة فى طبيعتها ، ومتكافئة فى حدتها وربما لاتختلف عن بعضها كثيرا فى هذا أو ذاك.ومادام الأمر كذلك فمن المتيسر اذن أن نطبق دروس تجربة التنمية السياسية فى دول العالم الثالث على التاريخ المبكر للدول الغربية ، وليس من المتعذر كذلك أن نطبق نفس هذه الدروس على التطور المعاصر والمستقبلى لهذه الدول . وبالتالى يصبح التوحيد أو الربط بين عملية التنمية السياسية وبين عمليات التحديث التى تجرى فى مرحلة تاريخية معينة أمرا غير محكم ، هذا ان لم يكن من الصعب تصوره أو التسليم به على نحو أو آخر [٢٩] .

---

(27) Ibid, p. 95.

(٢٨) ظهرت فكرة مجتمع ما بعد الصناعة أساسا لوصف المجتمعات التى بلغت مرحلة عالية من التصنيع بغض النظر عن هويتها الايديولوجية . ويعتقد أصحاب هذه الفكرة أن هناك نمطا جديدا من المجتمعات فى طريقه إلى الظهور وهو مجتمع مابعد الصناعة أو المجتمع التكنولوجى ، الذى تسيطر عليه النزعة الالية ، وتسوده الوفرة ، ويتميز بأنماط من العلاقات والصراعات الاجتماعية تختلف عما هو سائد فى المجتمع الصناعى منذ نشأته فى القرن الماضى . انظر فى هذا الصدد المؤلفات التالية على سبيل المثال :

__ D. Bell, **The Coming of Post-Industrial Society**, Basic Books, New York, 1973.

__ Z. Brzezinski, **Between Two Ages : America's Role in the Technitronic Era**, Viking Press, New York, 1970.

(29) S.P. Huntington & J.I. Dominguez, Op. cit., p. 95.

وترتيبا على هذا التصور ، واستكمالا لجهود الباحثين من أجل ايجاد اطار محدد لدراسات وبحوث التنمية السياسية ، اتجه الباحثون ــ منذ أواسط وأواخر الستينيات ــ إلى البحث فى الصعوبات المتعلقة بعملية الفصل بين خصائص المجتمع التقليدى وخصائص المجتمع الحديث ، استنادا إلى افتراض ضمنى مؤداه أن انبثاق أى منهما يستتبع بالضرورة اضمحلال أو اختفاء الآخر . وقد اتضح لهم من هذا البحث أن الفواصل بين خصائص كل من هذين النمطين من المجتمعات ليست من الوضوح كما كان متصورا ، وأن الانتقال التاريخى من أحدهما إلى الآخر لايعد من قبيل عمليات التقدم ، ولا يتطابق تماما مع الاتجاه نحو التقدم . وبالتالى انتهوا إلى أنه ليس ثمة داع للربط بين عملية التنمية السياسية وعملية التحديث السياسى . وأنه إذا كان ثمة تصور من هذا القبيل فانه لابد وأن يختفى ، حتى ولو كان ذلك بحجة أن عملية التحديث تشير إلى ظاهرة غامضة معقدة ، ولا تمثل ظاهرة بسيطة سهلة كما كان متوهما . وحيث أن الانتقال من الأوضاع التقليدية إلى الأوضاع الحديثة لم تعد له خصائصه المميزة ، ولم تعد كذلك الفواصل بين المجتمع التقليدى والمجتمع الحديث واضحة المعالم ، فليس من المستبعد اذن أن نعثر على نفس المشكلات السياسية ــ المصاحبة والمميزة لعملية التحول من المجتمع التقليدى إلى المجتمع الحديث ــ فى أية مرحلة من مراحل التاريخ ، ومن المحتمل كذلك أن تظهر فواصل أخرى بين هذين المجتمعين ، وأن تكتسب هذه الفواصل أهمية أكبر مما كان لسابقتها . وبما أن الأمر كذلك فانه يصبح من الأفضل أن يقال أن النسق الثقافى للمجتمع ذو تأثير كبير على أوضاعه السياسية . وأن تأثير هذا النسق يفوق فى قوته وفعاليته كل تأثير ينبثق عما يكتسبه المجتمع من خصائص وسمات على درجة عالية من الرقى ، سيما وأن الفوارق السياسية بين المجتمعات ــ كما يقول بعض الباحثين ــ لا تتطابق كثيرا مع المستويات المتفاوتة لدخول الأفراد بقدر ما تتطابق مع عوامل ومظاهر القصور الثقافى Cultural faults وتشرذم الثقافة السياسية للمجتمع Fragmentation of Political Culture ، ومايترتب على هذا القصور والتشرذم من تقسيم للناس حسب : اللغة ، والدين، والعنصر، والتجربة التاريخية . وأخيرا فإنه مادام الفصل بين الخصائص التقليدية والخصائص الحديثة

للمجتمع قد أصبح ذا أهمية ضئيلة فى التحليل السوسيوسياسى ، فإن دراسة التنمية السياسية لابد وأن تنفصل بالمثل ، وبشكل متزايد ، عن دراسة التحديث ، وأن ترتبط بدرجة أشد وأكبر بدراسة عمليات التغيير السياسى Political change واسعة النطاق (٣٠) .

ونتيجة لهذا كله اتجه الباحثون ـــ منذ أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات ـــ إلى البحث عن أطر نظرية ملائمة لدراسة عملية التغيير السياسى . وكان من محصلة هذا الاتجاه أن ظهرت محاولة (جبريل ألموند) وزملائه لادماج تأثير عوامل البيئة ، والقيادة والمهارة ، وعمليات الاختيار ، والتحالفات السياسية فى اطار صيغة كلية للتغيير السياسى (٣١) . وظهرت أيضا محاولة (جارى د. بريور G.D. Brewer) و (رونالد د. برنر R.D. Brunner) لتطوير نماذج للتغيير السياسى المعقد ، يمكن أن تستوعب كافة المتغيرات : السكانية ، والاقتصادية ، والسياسية فى اطارها . وتربط فيما بين هذه المتغيرات عن طريق سلسلة من المعادلات التى يمكن أن تساعد فى الكشف عن مدى تغير قيم هذه المتغيرات بتغير أى من المتغيرات الأخرى (٣٢) . هذا فضلا عن عديد آخر من المحاولات التى أمكن عن طريقها تحقيق قدر أكبر من الفهم المتعمق لأسباب ، وأنماط ، وعواقب عمليات التغيير السياسى ، بما فى ذلك عملية التنمية السياسية ذاتها .

★ ★ ★

هكذا صدر اهتمام علماء الاجتماع والسياسة بقضية التنمية السياسية ـــ كقضية علمية ـــ وهكذا تطور أيضا . وإذا كان هذا التتبع التاريخى لبدايات الاهتمام الاكاديمى بهذه القضية قد ألقى بعضا من الضوء على نشأة هذا المبحث الجديد فى علوم السياسة والاجتماع ، فلعل من المناسب كثيرا أن يكون ثمة

(30) Ibid, pp. 95 - 96.

(31) G.A. Almond & Others, (eds.), **Crisis, Choice and Change : Historical Studies of Political Development**, Little, Brown, Boston, 1973.

(32) G.D. Brewer & R.D. Brunner, **Organized Complexity : Empirical Theories of Political Development**, Free Press, New York, 1971.

استعراض مماثل لمصادر وأصول هذا الاهتمام فى جانبه العملى ، باعتبار أن التنمية السياسية قضية عملية مثلما هى قضية علمية ، وأنه ليس ثمة انفصال بين جانبها العلمى وجانبها العملى . وفى هذا ينبغى أن يكون ثمة شىء من التفصيل نرجئه إلى حديث مقبل .

* * *